Comunione e Liberazione

«المسيح، الأساس الجديد للمعرفة والعمل»

مدونات من أحاديث فرانشيسكو كاسيزي وداڤيد بروسبيري في يوم بداية العام للبالغين بحركة الشراكة والتحرر بإقليم لومبارديا

منتدى أونيبول، بمدينة أسّاجو (ميلانو) و بالتواصل المرئي عبر الانترنت، في ١٤ سبتمبر ٢٠٢٥

داڤيد بروسبيري

تحدث قداسة البابا لاون الرابع عشر في السادس من يونيو الماضي عن «وحدة تجد أساسها في المسيح»: فهو يجذبنا إلى ذاته وهكذا يوحدنا أيضاً».[١] فلنستدع روحه، لكي يرافقنا في هذا اليوم وطوال مسيرتنا بأكملها التي نرغب في القيام بها معاً هذا العام أيضاً: ولهذا السبب فإن وجودنا هنا هو فرح.

تعال أيها الروح القدس

فرانشيسكو كاسيزي

مساء الخير! من الرائع حقاً أن نبدأ هذه المسيرة، والأروع من ذلك أن نعلم بأننا مدعوون للقيام بها معاً. فاليوم، هنا في منتدى أساجو، تجاوز عددنا ١١ ألف من الحضور، وينضم إلينا ٢٥٠٠ آخرون بالتواصل المرئي عبر الانترنت من خمسة مدن في إقليم لومبارديا. قبل أن نبدأ، أود أن أشارككم الرسالة التي وجّهها داڤيد لقداسة البابا لاون الرابع عشر بمناسبة عيد ميلاده السبعين اليوم، وهي مصادفة سعيدة للغاية بالنسبة لنا:

«يا صاحب القداسة، إننا نشكر الله، في عيد ميلادكم، على هبة حياتكم وعلى عناقكم الأبوي للكنيسة الجامعة. وكما علّمنا الأب لويجي چوسَّاني دائماً، فإننا نرغب في خدمة الكنيسة ورعاتها أينما تجذب حياتنا مبادرة المسيح. ولهذا السبب، نرغب في الحفاظ بقوة أكبر على مواهب الوحدة والشركة والسلام التي نقلتموها إلينا منذ انتخابكم. ونؤكد لقداستكم على صلوات كل جماعات حركة الشراكة والتحرر في جميع أنحاء العالم من أجلكم ومن أجل رسالتكم. مع أطيب تمنياتي، وأتطلع إلى لقاء قداستكم قريباً، خادمكم المخلص داڤيد بروسبيري».[٢]

أود أن أبدأ بذكرى عائلية. فمنذ بضع سنوات، كان ابن أخي لا يزال مراهقاً، وكان قلقاً بعض الشيء، ومتوتراً، وغير صبور. وأتذكر عودتي إلى عائلة أختي بعد بضعة أشهر و وجدته أكثر هدوءاً وابتسامة. فنظرت إليه، ولاحظت أنه أصبح أطول، وربما لحق بزملائه في الصف. ففهمت أن جزءاً من نفاد صبره يعود إلى عدم نموه. إنها حقيقة عادية، لكنها كانت ذات معنى عميق بالنسبة لي: أدركت أننا جميعاً (أطفالاً ومراهقين وبالغين أيضاً) خُلقنا لنصير كباراً، ولنزداد إنسانية، وعندما لا يحدث ذلك، نجد أنفسنا نتذمر، ونقيس أنفسنا بالآخرين بتجاهل تام تجاه كل شيء.

وفي كتابه «اللقاء الذي يُشعل الرجاء»، الذي يضم النصوص غير المنشورة للرياضة الروحية للطلاب الجامعيين بحركة الشراكة والتحرر التي أُقيمت في عام ١٩٨٥، يستخدم الأب چوسَّاني صورة المستنقع: إن المياه الراكدة، التي لا تعكس شيئاً، تُمثل أولئك الذين يعيشون بتكرار ما يعرفونه بالفعل. أما مياه الينابيع، فهي دائماً صافية، وبالتالي تعكس السماء. وهكذا، تُصبح رفقتنا علامة لمصيرنا (الأبدي)، لأنها تُتيح لنا اقتناص لمحةً من الخلود.[٣] ونشعر بالحاجة الملحة لتعميق علاقتنا بالسرّ الذي يصنع كل شيء، ولا نستطيع بمفردنا أن نتخيل الطريق لتعميق هذه العلاقة. فنحن نرغب في المضي قُدُمَاً، على الطريق الذي نسلكه، للاكتشاف الحيّ والملموس والمتجسد لتكامل الكاريزما والسمات الأساسية لخبرة الحركة.

وبعد ظهر هذا اليوم، تكون مهمتي هي تقديم ملخص مختصر لبعض الخطوات الهامة التي قمنا بها في العام الماضي. أودُّ أن أطرح ثلاثة أسئلة انبثقت من حياة جماعاتنا. وأبدأ بيوم البداية في العام الماضي، «مُدعوّون أي مُرسَلون: بداية الرسالة»:[٤] كانت لحظةً حرّكت حياة العديد

---

١ البابا لاون الرابع عشر، إلى منسقي جمعيات المؤمنين والحركات الكنسية والجماعات الجديدة، ٦ يونيو ٢٠٢٥.

٢ داڤيد بروسبيري، «تهانينا لبابا لاون!»، ١٤ سبتمبر ٢٠٢٥، بموقع الحركة clonline.org.

٣ الأب لويجي چوسَّاني، «اللقاء الذي يشعل الرجاء»، مكتبة الڤاتيكان للنشر، مدينة الڤاتيكان ٢٠٢٥، الصفحات ٢٨ وما يليها.

٤ فرانشيسكو كاسيزي وداڤيد بروسبيري، «مُدعوّون أي مُرسَلون: بداية الرسالة»، ملحق مجلة «آثار» عدد رقم ١٠ / ٢٠٢٤.

من الجماعات. ففي هذا الصيف، ومن خلال حواراتٍ عديدة، أدركتُ كيف أن الكلمات التي تبادلناها قبل عام قد امتلأت بالخبرة، وتبلورت، وتجسدت.

ثم جاءتك رسالة البابا فرنسيس في الأول من فبراير: لفتة عميقة وأبوية، دليلٌ على اهتمامه بالحركة بكاملها، وبالمسيرة التي نسيرها معاً داخل تاريخ الكنيسة. وحلّت وفاته في شهر أبريل. وعمَّ حزنٌ كبير، ولكنه أيضاً اختبارٌ لعظمة الكنيسة، التي تجلّت للعالم بطريقةٍ استثنائية. إننا نتذكر جنازته جيداً: وحضور كل أقوياء العالم، جالسين على كراسي بلاستيكية كباقي الناس. كانت صورةً مؤثرةً، أبرزت اعترافاً بأبوة روحية واحدة حقيقية.

وبعد أسابيع قليلة، تم انتخاب البابا لاون الرابع عشر الذي ألقي واحد من أوائل خطاباته العامة بمناسبة الاحتفال بيوبيل الحركات والجمعيات والجماعات الجديدة. وقد خاطبنا قداسة البابا بكلماتٍ قويةٍ وصادقة، أثرت فينا على الفور. فقد شرح لنا هدف المواهب: وهو إيقاظ «الرغبة في القلوب للقاء المسيح». وكان قبول دعوته بأن نكون «خميرة للوحدة والتآلف والأخوة» وأن نبذل حياتنا «في خدمة الرسالة»،[٥] ليعرف العالم المسيح، تأكيداً لنا على الطريق الذي بدأناه، حيث تتفق كلماته بعمق مع ما أردناه محوراً لعملنا في العام الماضي، لكنها في الآن ذاته زادت من شعورنا بالمسؤولية. فنحن أول المحتاجين إلى التوبة والتغيير الحقيقي، إذ كثيراً ما نجد أنفسنا بلا حماس وحائرين وحذرين وتكبحنا المقاومات والتحفظات.

وكانت من العلامات الثمينة الأخرى على هذه المسيرة رسالة بابا لاون الرابع عشر شخصياً إلى ألبرتو برونيولي Alberto Brugnoli، رئيس جمعية «حافظي ذكرى الرب» [Memores Domini]، العلمانية بمناسبة الرياضة الروحية الصيفية في لاتويل [La Thuile].[٦] إنها رسالة تدعمنا في وقت المحن، وتُنعش أرواحنا، وتُشير بوضوح إلى الطريق (الرسالة منشورة على موقع الجمعية ويمكننا جميعاً قراءتها). وقد كُتِبت هذه الرسالة إلى أعضاء جمعية «حافظي ذكرى الرب»، وهي تشير إلى وضعهم المحدد والملموس، وهي علامة على الاهتمام الأبوي للبابا تجاه خبرتنا برمتها.

ومنذ بداية الحركة، تحدث الأب چوسَّاني عن ركيزتين أساسيتين لواقعنا: من جهة، «الحياة المسيحية كشركة»؛ ومن جهة أخرى، «التعاون في شؤون العالم والكون». وقال: «هاتان هما النقطتان الأساسيتان لمفهومنا. هاتان هما النقطتان، وهذا كل شيء».[٧]

ومن اللافت للنظر كيف يتوافق هذا مع ما أشار إليه البابا في خطابه إلى المنسقين بمناسبة يوبيل الحركات، عندما دعانا إلى «التعاون معه بأمانة وسخاء»، قائلاً إن «الوحدة والرسالة هما حجرا الزاوية في حياة الكنيسة،[...] وفي الخدمة البطرسية».[٨] حتى لا يكون تقدمنا مجرداً ومنفصلاً عن الواقع الذي نعيشه ومنشغلاً باتباع المنطق أكثر من دعم تطور الحياة، من الضروري أن تبني الخطوات التالية – التركيزات والتعمقات – تتأسس على تلك التي قمنا بها بالفعل. ويجب أن يأخذوا في الاعتبار ما يحدث بيننا. فنحن نتعلم من التاريخ. بعبارة أخرى، علينا تقييم الخبرة المكتسبة فيما يتعلق بالمقترح الذي وُجه إلى الحركة بأكملها منذ يوم بداية العام في سبتمبر الماضي.

إذن، نسأل أنفسنا: إلى أين وصلنا؟ ما الذي أصبح حقاً ملكنا؟ وما الذي أثار صعوبات ومقاومات وسوء فهم أو تم تجاهله تماماً؟ سنحاول الآن تسليط الضوء على الاكتشافات، ولكن أيضاً على الصعوبات والتساؤلات، انطلاقاً من كل ما

---

٥ رسالة البابا لاون الرابع عشر، «إلى منسقي الحركات الكنسية...»، سبق ذكرها.

٦ «إن التوافق فيما بينكم وفي الكنيسة ضروري حتى تستمر الكاريزما التي ألهم بها الله الأب لويجي چوسَّاني في الاتيان بثمار الخير وتساعد الأجيال الجديدة على لقاء الرب وتصبح علامة نبوية لجماله». (بابا لاون الرابع عشر، رسالة إلى ألبرتو برونيولي، رئيس جمعية حافظي ذكرى الرب، ٢١/ ٧/ ٢٠٢٥).

٧ الأب لويجي چوسَّاني، «ثورة الذات. الحياة كشركة (١٩٦٨ – ١٩٧٠)»، ريتسولي، ميلانو ٢٠٢٤، الصفحات ١٢ – ١٣.

٨ رسالة البابا لاون الرابع عشر، «إلى منسقي الحركات الكنسية...»، سبق ذكرها.

عشناه، بما في ذلك مدرسة الجماعة والرياضة الروحية للأخوية ولشباب العاملين.

١) المسيح يجذبنا إليه

كاسيزي

أبدأ إذن بالسؤال الأول. أستلهم من كونشيرتو الكمان والأوركسترا بمفتاح دو ماجور، مصنف ٦١ لبيتهوفن الذي استمعنا إليه عند الدخول. لتقديم هذا الكونشيرتو، يستخدم الأب چوسَّاني صورة «الفرد» و«الجماعة»، ويقارنهما بالكمان والأوركسترا.[٩] تكرر الأوركسترا نغمات الكمان وتدعمها. لكن علينا أن نعترف: يا لها من متعة ويا له من مشهد أن نسمع هذه النغمات، وهذه البراعة! ربما تكون هذه هي النقاط في الحفلة التي تأسرنا أكثر، والتي نقدرها أكثر.

أود أن أربط سؤالي الأول بهذا: ماذا يعني أن الرغبة في تحقيق الذات – التي تميزني، وتميزك، وتميز كل واحد منا، والتي تحدد قلب الإنسان – تجد إجابتها في الانتماء؟ ما علاقة إنسانيتي بالشركة التي تحدثنا عنها؟ كيف لا يصبح هذا الانتماء عائقاً أمام الأسئلة التي أعيشها؟

بروسبيري

لقد انطلقنا من عبارة البابا لاون: إن المسيح هو الذي «يجذبنا، يجذبنا إلى ذاته، وبذلك يوحد فيما بيننا أيضاً».[١٠] ونحن جميعاً هنا، حتى أولئك الذين يأتون إلى هنا للمرة الأولى، لأن المسيح جذبنا بطريقة ما، من خلال لقاء إنساني استحوذ على قلوبنا. وكما تقول إحدى وثائق المجمع الڤاتيكاني الثاني عن الدستور الرعوي للكنيسة في عالم اليوم «فرح ورجاء» [Gaudium et spes]، «إن المسيح [...] يكشف لنا عن سرِّ الآب وعن محبتِهِ، ويبيِّنُ للإنسان ما هو عليه بالذات».[١١] إن حضوره يتوافق بطريقة فائقة وفريدة مع احتياجات قلوبنا التي لا تُقَاوم ولا يمكن إنكارها. ففي العلاقة معه تجد ذاتي، وإنسانيتي اكتمالاً وفرحاً حقيقياً وسلاماً.

كل العمل الذي قامت به مدرسة الجماعة حتى الآن حول كتاب «الحس الديني»[١٢] ساعدنا على الدخول في هذه الدينامية، في حين أن المسيرة التي نحن على وشك البدء فيها حول كتاب «في أصل الزعم المسيحي»،[١٣] ستكون فرصة لتركيز النظر على المسيح وعلى حدث الله الذي صار إنساناً ليصبح رفيقاً للإنسان. أنظر، إذا كان أحدنا هنا، فذلك لأنه، عند لقائه بصحبة معينة من الأصدقاء، شعر فيها بنسمة جديدة من وعد بالحياة، وتوقع حضوراً يتوافق مع توقعات قلبه الأصلية، وقال لنفسه، ربما دون أن يقول ذلك صراحةً: «سأذهب معهم». هذا هو المعنى المحسوس والملموس للكاريزما التي وهبها الله للأب چوسَّاني: إنها الطريقة التي جاء بها المسيح للقائنا بشكل مقنع، فأسرنا وجذبنا إليه وجعلنا بالتالي شيئاً واحداً.

ويقول الأب چوسَّاني في كتابه "اللقاء الذي يشعل الرجاء": «إن السر الذي يصنع كل الأشياء، والذي صار إنساناً، يمسني ويصل إليّ ويصبح لقاءً من خلال أشخاص: من ذلك الفتى أو تلك الفتاة التي قالت لي شيئاً معيناً، أو تلك المجموعة الصغيرة من الناس التي ذهبت معها في رحلة، أو ذلك الصوت الذي كان يتكلم، أو تلك المبادرة التي شاركت فيها. يا إلهي، إنه نقطة صغيرة للغاية، متناهية الصغر! السر الذي يصنع كل الأشياء يصل إليّ من خلال هؤلاء ويصل إليّ من خلال هذه الصحبة».[١٤] وفيها أصبح من الممكن اختبار نظرة المسيح وحبه لنا، وهكذا شعرنا بالاندماج في أعماق كياننا.

---

[٩] الأب لويجي چوسَّاني، «مسكن الذات»، سلسلة الروح اللطيف. دعوة للاستماع الى الموسيقى العظيمة بارشاد الأب لويجي چوسَّاني، إعداد ساندرو كيريتشي وسيلڤيا چمباولو، بور، ميلانو ٢٠١١، الصفحات ١٣٥ – ١٣٧.

[١٠] رسالة البابا لاون الرابع عشر، «إلى منسقي .....»، سبق ذكرها.

[١١] الدستور الرعوي للكنيسة في عالم اليوم «فرح ورجاء»، فقرة رقم ٢٢.

[١٢] الأب لويجي چوسَّاني، كتاب «الحس الديني»، بور، ميلانو ٢٠٢٣.

[١٣] الأب لويجي چوسَّاني، كتاب «في أصل الزعم المسيحي»، بور، ميلانو ٢٠٢٥.

[١٤] الأب لويجي چوسَّاني، «اللقاء الذي يشعل الرجاء»، سبق ذكره سالفاً، ص ٥٢.

أود الاصرار والتأكيد على هذه النقطة بإستخدام صورة جدارية لدرب الصليب التي رسمها الفنان الفرنسي هنري ماتيس [Henri Matisse] في كنيسة القديسة مريم للمسبحة الوردية بمدينة ڤانس [Vence] التي تقع شمال مدينة ليون بفرنسا.[١٥] تبدو في ظاهرها مزيح من ''الفوضى'' الغير واضحة، لكنها في الواقع تتبع منطقاً محدداً: ففي المركز ومع امتداد الصليب يظهر لنا منديل القديسة ڤيرونيكا. ونحن لا نستطيع رؤية وجه المسيح مباشرة، بل نراه من خلال منديل القديسة ڤيرونيكا. كما نلاحظ أن هذا هو الوجه الوحيد الذي تظهر عيناه أمامنا، فهذه هي نظرة المسيح التي تصلنا من خلال الكنيسة، سر شركتنا واتحادنا معاً. فهذا هو الشكل الذي اختاره المسيح لكي يبقى حاضراً في التاريخ، بملامح معينة ووجه محدد. ليس بنظرة مباشرة، بل بنظرة مستترة. فقد كان في استطاعة ابن الله أن يختار طريقة أخرى، لكنه اختار هذه الطريقة، لذلك نحن أيضاً، بمحدوديتنا وضعفنا وبإنجذابنا له، نشترك في حقيقة هذا الوجه السري.[١٦] وهذه هي المفارقة المسيحية: إذ يتواصل كمال السر الإلهي من خلال جسد غير كامل.

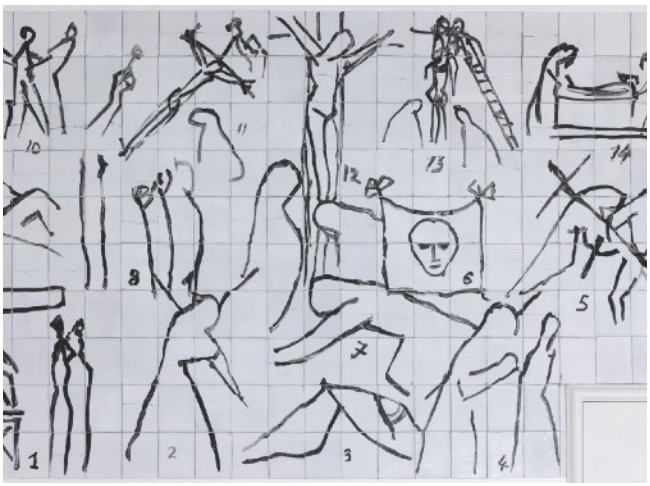

ماتيس، درب الصليب (١٩٤٩ – ١٩٥١)، كنيسة المسبحة الوردية، ڤانس

وهكذا قد إكتشفنا الإيمان ليس كأمر فكري أو حميمي، بل تفاعل مع حضوره بيننا الآن. ففي كتاب «وجه في التاريخ» الذي قمنا بنشره حديثاً، كتب الأب جوسَّاني: «إن ''الإيمان'' ليس نظرية عند المسيحي بل هو إدراك لحدث [...]، واقع جرى ويجري، وهو الإقرار بحقيقة المسيح، [...] واستمراريته في التاريخ، أي [...] بسر الشركة المسيحية».[١٧]

إن نعمة اللقاء التي قادتنا إلى هذا اليوم، ثم الصحبة التي وضعنا فيها، هما طريقة المسيح في مخاطبة كل واحد منا قائلاً: «تعال واتبعني». ولأننا هنا فهذا دليل على أننا، بوعي أكبر أو أقل، نجيب على هذه الدعوة: «نعم، ها أنا!، مع تعبي وبامتناني لأفراحي وبحزني على آلامي، وبحمل أخطائي الثقيل ... لكنني هنا من أجلك يا رب، أرجو منك أن تقبلني!».

بالطبع، إن رفضنا ممكن دائماً. ونفهم هذا إذا نظرنا إلى حكاية الشاب الغني: «وإذا بِرَجُلٍ يَدنو فَيقولُ له: ''يا مُعلِّم، ماذا أَعمَلُ مِن صالِحٍ لأَنالَ الحَياةَ الأَبَدِيَّة؟''. فقالَ له: ''لماذا تَسأَلُني عَنِ الصَّالِح؟ إِنَّما الصَّالِحُ واحِد''».[١٨] أن يكون الانسان صالحاً ليس شيئاً يقدر عليه، لأن الله وحده هو الصالح. وهنا يبدأ يسوع في تقديم النقطة التي يريد الوصول إليها: وهي أنك وحدك وبقوتك وبطاقتك لن تستطيع أبداً أن تربح لنفسك الحياة، الحياة الأبدية.

وعندما أوصى الشاب بعدها باحترام الوصايا، قالَ له الشَّابّ: ''هذا كُلُّه قد حَفِظْتُه، فماذا يَنقُصُني؟''.[١٩] ويروي الإنجيل: «فنظر إليه يسوع وأحبه [أحبه!] وقال له: ''يعوزك شيء

---

[١٥] كنيسة القديسة مريم للمسبحة الوردية (ڤانس)، درب الصليب الذي رسمه وزخرفه الرسام هنري ماتيس على الجدار الرئيسي للكنيسة بين عام ١٩٤٩ و١٩٥١ للراهبات الدومينيكان في فرنسا.

[١٦] «إن المعمودية هي الفعل الذي به يقوم المسيح المائت والقائم من بين الأموات بفهم الناس الذين أعطاهم له الآب في يديه ويحملهم إلى داخل ذاته. وهكذا يصبحون جزءاً من صورته ومن شخصيته وأعضاءً في جسده» (لويجي جوسَّاني وستيفانو ألبرتو وخافيير برادس «خلق آثار في تاريخ العالم»، بور، ميلانو ٢٠١٩، ص ٥٦).

[١٧] الأب لويجي جوسَّاني، «وجه في التاريخ. واجب الكنيسة في العالم (١٩٦٩ – ١٩٧٠)»، ريتسولي، ميلانو ٢٠٢٥، ص ٢٠١.

[١٨] مت ١٩: ١٦ – ١٧.

[١٩] مت ١٩: ٢٠.

واحد: اذهب وبع كل ما لك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال! اتبعني!''. فاغتم من هذا الكلام ومضى حزيناً، لأن كان لديه أموالاً كثيرة».[٢٠] هذه الملاحظة في الإنجيل كانت مؤثرة. فقد كان بإمكانه أن يذهب «غاضباً» أو «خائباً»، إذ لم يحصل على الجواب الذي كان يتوقعه. لكن لماذا ذهب «حزيناً»؟[٢١] لأنه كان يكلفه أن يرحل: لقد اعترف حقاً بالمسيح في تفرده، لكن هذا لم يكن كافياً؛ كان تعلقه بأمواله وبمشاريعه وبثمرة عمله، قوياً جداً ليترك كل شيء ويتبعه.

يبدو يسوع في هذه القصة أنه يُقدِّم نفسه كبديل للأشياء التي منحها الله الآب للشاب الغني. فهناك أغنية حديثة لبنسون بون [Benson Boone] (الأشياء الجميلة) تقول: «يا إلهي، لا تسلب مني هذه الأشياء الجميلة».[٢٢] لماذا لا يترك الشاب الغني ما يملك؟ أعتقد لسبب واحد فقط: لأنه، رغم إدراكه، بل وتقديره، لعظمة الرجل الواقف أمامه، لا يستطيع اتخاذ القرار نيابةً عنه: لأن تمسكه وتشبثه بما يملك هو الذي انتصر. ثم قال الأب چوسَّاني مجدداً، وكأنه يُعبِّر عن أفكار الشاب الغني: «ولكن بأي حق تقول لي: ''تعال معي؟''» وأضاف: «''تعال معي'' ليس قانوناً للحياة، وليس قانوناً للضمير، وليس قانوناً أخلاقياً يُقرّه ويعترف به المجتمع، بل إن قولك هذا شيءٌ آخر، إنه استنتاج، إن قولك هذا أمرٌ غريبٌ وشاذ: التخلي عن الأب والأم والحبيبة وعن الممتلكات... من ذا الذي يستطيع أن يقول: ''تعال معي!''؟ [...] من ذا الذي يستطيع أن يقول ذلك؟ إنه ربي الذي أنتمي إليه». هذه إذن هي «الكلمة الكبرى: الانتماء».[٢٣]

هذه هي مأساة كل واحد منا أيضاً. فأكثر من كونها رفضاً حقيقياً صريحاً (والذي قد يحدث أحياناً، كما نعلم في تألم)، فالأمر بالنسبة لنا كما يلاحظ الأب چوسَّاني قائلاً: « هو مقاومة أمام بديهية الانتماء: ''تعال معي، لأنك ملكي!''». إنه أمر رائع أن نقرأ الإنجيل و نتفاجئ في المسيح بهذا الوعي بكونه معلم ورب الناس، فعندما يستخدم كلمة ''خاصته'': ''خاصته'' تعني ''أبنائي''. ثم نطور نحن مقاومة لهذا الانتماء».[٢٤] فنحن أيضاً، في الواقع، أبناء ثقافة عصرنا، نؤكد – ربما لا نضع نظرية لذلك، لكننا نؤكده في أفعالنا، وفي خياراتنا –: «أنا مِلْكُ نفسي». لكنها كذبة تُعِيقُنا، لأنه كما رأينا في مدرسة الجماعة هذا العام، إذا كان هناك دليل ساحق للإنسان فهو أنه لا يصنع نفسه، إنه ينتمي إلى آخر، إنه علاقة مع اللامتناهي. إننا ننتمي إلى الله.[٢٥]

«لكن تبعيتنا كمخلوقات كانت ستظل إدراكاً غامضاً وعابراً لو لم تنكشف لنا بوضوح في المسيح».[٢٦] ففي انتمائنا إلى الله الذي صار إنساناً، إلى المسيح، تتضح تبعيتنا لله: إذ ننتمي إلى المسيح، «ننتمي إلى من التقينا به. فنحن ننتمي إليه، ولهذا السبب، يضيف الأب چوسَّاني قائلاً: «إننا ننتمي أيضاً إلى الوسيلة التي يصل بها إلينا، ألا وهي الرفقة والجماعة».[٢٧] وهنا تحديداً تبدأ مقاومتنا، عندما لا يكون انتمائنا لفكرة، بل للحقيقة

---

[٢٠] مر ١٠: ٢١ – ٢٢.

[٢١] مت ١٩: ٢٢.

[٢٢] «يا إلهي / لا تأخذ / هذه الأشياء الجميلة التي أمتلكها» (بنسون بون، ''الأشياء الجميلة''، من ألبومه «ألعاب نارية ومتزلجات»، © شارع الليل – تسجيلات وارنر، ٢٠٢٤).

[٢٣] الأب لويجي چوسَّاني، «اللقاء الذي يشعل الرجاء»، مرجع سبق ذكره سالفاً، ص ٥٩.

[٢٤] نفس المرجع المذكور عاليه، ص ٦٤.

[٢٥] «في هذه اللحظة أنا، إذا كنت منتبهاً، أي إذا كنت ناضجاً، لا أستطيع أن أنكر أن أعظم وأعمق دليل أدركه هو أنني لا أصنع نفسي، لست أصنع نفسي. ولا أعطي نفسي الوجود، ولا أعطي نفسي الحقيقة التي أنا عليها، أنا 'عطية'. إنها اللحظة الناضجة لاكتشاف نفسي كمعتمد على شيء آخر. فكلما نزلت أكثر داخل نفسي حتى القاع، من أين أنبثق؟ ليس من نفسي: من آخر. إنه إدراك نفسي كسيل ينبع من نبع. هناك شيء آخر أكبر مني، ومنه أُصنع. لو أن سيل النبع يستطيع أن يفكر، لأدرك في النهاية ازدهاره المنعش أصلاً لا يعرف ما هو، إنه آخر غيره. [...] أنا هو ''أنت–الذي–تصنعني''» (الأب لويجي چوسَّاني، «الحس الديني»، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٦).

[٢٦] لويجي چوسَّاني وستيفانو ألبرتو وخافيير برادس، «خلق آثار في تاريخ العالم»، مرجع سبق ذكره، ص ٨٥.

[٢٧] الأب لويجي چوسَّاني، «اللقاء الذي يشعل الرجاء»، مرجع سبق ذكره سالفاً، ص ٧١.

المسيحية: أي الانتماء للمسيح وللكنيسة. إذن فلنسأل أنفسنا: لماذا نتخلى عن كل شيء لنتبع المسيح؟ لماذا نقبل الانتماء إليه، بكل ما يترتب على ذلك من واقع تاريخي وانساني؟ ثم يقول الأب چوسَّاني: «إن هذا الحضور ضروري لوجودي، وحتى أكون ذاتي».[٢٨] ففي انتمائي إلى هذا الحضور يكمن جوهري، وبالتالي كل خصوبتي، خصوبة حياتي وحياتك. فمن خلال الانتماء إلى الصحبة والرفقة التي يصير فيها اللقاء مع المسيح خبرة ملموسة، «فكل شيء في ذواتنا يتفاعل مع كل شيء، ويتغير مع مرور الوقت: ففي الواقع، نحن نفكر، وندرك، ونحكم، ونشعر، ونتعلق، ونعمل – أي أننا نشكل الواقع، ونعطي أنفسنا (حياتنا وموتنا) بطريقة مختلفة تماماً».[٢٩]

٢) من الانتماء يأتي حكم جديد

كاسيزي

دعوني أنتقل إلى سؤال ثانٍ. خلال هذه السنوات في مدرسة الجماعة، تعلمنا من الفصل الأول من كتاب "الحس الديني" أن الحكم الواقعي يُمثل «بداية التحرر».[٣٠] ومع ذلك، أُدرك أن هذه الكلمة – «الحُكْم» – غالباً ما نعتبرها أمراً قاسياً، كسكين حاد يجرح، أو كإدانة، أو حتى شيئاً يسحق حريتنا. وأحياناً يبدو أنها توحي بموقف استعلائي، وكأننا نضع أنفسنا فوق الآخرين. لذا أود أن أطلب منك مساعدتنا على فهم المعنى الحقيقي لكلمة «الحُكْم»، فقد تطرقنا إليها مراراً هذا العام.[٣١] كما أود منك توضيح ما أسماه الأب چوسَّاني «الحكم الجماعي»، أي القدرة على إصدار أحكام حول الواقع انطلاقاً من الحياة الجماعية المعاشة، لأن هذا المفهوم يُساء فهمه أحياناً كمجرد الموافقة على رأي الجماعة، أو على أنه اتخاذ قرارات بأغلبية الأصوات.

بروسبيري

قلنا إن وجودنا هنا معاً يعود إلى انجذابنا للمسيح. غير أن هذا الانجذاب له أثر في حياتنا فلا يتركها كما كانت: بل يُحدِث فيها هزة. فإن كان حضوراً نستطيع "التفاعل معه"[٣٢]، وليس فكرة مجردة ولا وهماً من صُنعِ خيالنا، فلا بد أن يُحدِث هزة ويُحرك السكون ويغير الحياة، ولا يترك شيئاً على ما هو عليه، بل يخلق فيّ كائناً جديداً وهوية جديدة هي ذاتي الحقيقية.

إن اللقاء مع المسيح الحاضر «له قيمة خلاقة» حيث يمثل ولادة جديدة للذات تتم في مكان محدد وفي لحظة معينة من التاريخ، وهناك تكبر وتنمو كشخصية جديدة بتصور فريد وغير قابل للاختزال إلى أي تصور آخر، وتتلقى عقلاً جديداً ومعرفة مختلفة. عندما يؤثر هذا الحضور على جميع علاقات الحياة، وعندما «تتعلق به» كل العلاقات، وعندما يتم خلاصها والحكم عليها وتنسيقها وتقييمها واستخدامها على ضوء هذا الحضور، تظهر ثقافة جديدة».[٣٣]

كما يقول لنا عنوان يوم بداية هذا العام، أن المسيح هو «الأساس الجديد للمعرفة والعمل»: وهو تعبير نجده في كتاب صلوات الساعات.[٣٤] إن الانتماء إلى المسيح يُغيّر حياتنا جذرياً. فهو في المقام الأول يُغيِّر نظرتنا إلى أنفسنا وإلى العالم، وطريقة تفكيرنا وحكمنا على الأمور. كما يقول يسوع: «توبوا»[٣٥]. ويكتب القديس بولس: «ولا تَتَشَبَّهوا بهذا العالَم؛ بَلْ تحوَّلوا الى صُورَةٍ أُخْرَى بِتَجْديدِ

---

[٢٨] نفس المرجع المذكور أعلاه، ص ٥٤.

[٢٩] لويجي چوسَّاني وستيفانو ألبرتو وخافيير برادس، «خلق آثار في تاريخ العالم»، مرجع سبق ذكره، ص ٨٦.

[٣٠] الأب لويجي چوسَّاني، كتاب «الحس الديني»، مرجع سبق ذكره، ص ١٤.

[٣١] داڤيد بروسبيري، «الثقافة: أن نكون من أجل المسيح»، ١٨ مايو ٢٠٢٤، بموقع الحركة clonline.org.

[٣٢] الأب لويجي چوساني، «رسائل عن الايمان والصداقة إلى أنچيلو مايو»، سان باولو، تشينيسيللو بلسامو (ميلانو) ٢٠٠٧، ص ٢٨.

[٣٣] لويجي چوسَّاني وستيفانو ألبرتو وخافيير برادس، «خلق آثار في تاريخ العالم»، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٦.

[٣٤] « تضرعات»، صلوات التسابيح الصباحية ليوم الأربعاء، «كتاب صلوات الساعات»، ياكا بوك، ميلانو ٢٠٠٦، ص ١٢٢.

[٣٥] مت ٤: ١٧.

عَقْلِكُم، لكي يَتَهَيَّأَ لكم أَنْ تُمَيِّزوا ما مَشيئَةُ اللهِ، وما هُوَ صالحٌ، وما يُرْضِيهِ، وما هُوَ كامِل»[٣٦]. وكثيراً ما يستخدم الأب جوسَّاني كلمة «حكم» للتعبير عن هذا المفهوم: غيّروا حكمكم.

إنه حكم جديد، أكمل وأصدق، ينبع من الإيمان المعاش في الجماعة المسيحية. ويروي لنا الأب جوسَّاني أن حركتنا بدأت بلقاء في الشارع مع أربعة شبان كانوا يدرسون في مدرسة بيرشيه الثانوية، وحثّهم على الحكم على أحداث الحياة في ضوء الإيمان. وفي الأسبوع التالي، حضر هؤلاء الأربعة إلى الاجتماع وقاموا بمداخلة بدأت بهذه الكلمات: ''نحن الكاثوليك...'' ومنذ تلك اللحظة، لم يكن في تلك المدرسة موضوعٌ أكثر سخونة من «الكنيسة والمسيحية».[٣٧] وهكذا، فإن استخدام كلمة «نحن» هذه تشير إلى منبع جديد لمعايير الحكم التي تنطبق على التاريخ.

لا بد أن تكون لنا رؤية مختلفة للأمور، إذا وصل إلينا ما يطلق عليه الأب جوسَّاني ''المسيح الحقيقي''،[٣٨] يعني الحضور الحي والتاريخي والمعاصر للمسيح في جماعة معينة. وقد رأينا محاولات جماعية للتعبير بشكل علني عن رؤية جديدة، مثلاً في بعض أعداد مجلة «آثار» التي تطورت أيضاً على موقع الحركة (أتذكر أعداد المجلة عن الاهتمام بالحياة، وعن العائلة، وعن السلام، وكذلك آخر عدد صدر مؤخراً عن حرية التعليم). ونفس الشيء ينطبق على الكثيرين منا الذين يواجهون المواقف اليومية العادية أو الظروف الخاصة: إنهم يُظهرون حياة مختلفة، بدءاً من المعايير التي يستخدمونها للحكم، حياة هي نفسها شهادة ''علنية'' أمام العالم.

كان هذا هو معنى التعبير الذي استخدمته في إحدى المقابلات مؤخراً: «إن اليوم الذي نتوقف فيه عن الحكم يعني أننا خسرنا الإيمان».[٣٩] يعني أننا فقدنا ذلك الفهم للإيمان الذي استلمناه في اللقاء مع الكاريزما التي وهبها الله للأب جوسَّاني: إيمان يشمل كل جوانب الحياة ويحكم عليها، وينيرها بشكل جديد.

فالإيمان الذي لا يتحول إلى حُكْمْ هو إيمان لا يؤثر في الحياة. وإذا لم يتغير الحُكْمْ، يبقى كل شيء كما هو، ونعيش إيماناً مجرداً، لا يؤثر حقاً؛ وفي النهاية، نفكر مثل الجميع. إن ما هو على المحك هنا هو مفهوم المسيحية والإيمان. لهذا السبب قال قداسة البابا يوحنا بولس الثاني (وهي عبارة كان الأب جوسَّاني يستشهد بها كثيراً): «إن الإيمان الذي لا يصبح ثقافة هو إيمان لم نقبله ولم نتأمله بشكل كامل ولم نعيشه بأمانة».[٤٠]

وقبل بضعة أسابيع، قال البابا لاون الرابع عشر أمام وفد من السياسيين الفرنسيين: «إن الخلاص الذي حققه يسوع بموته وقيامته يشمل جميع أبعاد الحياة البشرية، مثل الثقافة والاقتصاد والعمل والأسرة والزواج واحترام كرامة الإنسان والحياة والصحة، مروراً بالاعلام والتعليم والسياسة. إذ لا يمكن اختزال المسيحية إلى مجرد حياة تقوية شخصية».[٤١]

أما بالنسبة للجزء الثاني من السؤال، المتعلق بـ«الحكم الجماعي»، فأنا أتفق على أنه من الضروري أن نساعد بعضنا البعض لفهمه بشكل أفضل، لأنه مصطلحاً استخدمناه كثيراً.

---

٣٦ رو ١٢: ٢.

٣٧ الأب لويجي چوساني، «حركة الشراكة والتحرر (١٩٥٤ – ١٩٨٦). حوارات مع روبي بونزا، بور، ميلانو ٢٠١٤ ، ص ٢٢.

٣٨ الأب لويجي چوساني، «وجه في التاريخ. واجب الكنيسة في العالم (١٩٦٩ – ١٩٧٠)»، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٤.

٣٩ م. ماتسوتسي، «بين الأمانة للكاريزما والدعوة إلى الوحدة. مقابلة مع رئيس حركة الشراكة والتحرر، دافيد بروسبيري»، جريدة الورقة، ١١/ ٦/ ٢٠٢٥.

٤٠ البابا يوحنا بولس الثاني، «خطاب إلى المشاركين في المؤتمر الوطني للحركة الكنسية المنخرطة في المجال الثقافي»، ١٦ يناير ١٩٨٢.

٤١ البابا لاون الرابع عشر، «خطاب إلى وفد من السياسيين والشخصيات المدنية بقال دي مارن [Val de Marne] ، بأبرشية كريتي بفرنسا، ٢٨/ ٨/ ٢٠٢٥.

ويتحدث الأب جوسَّاني في كتابه (ثورة الذات)، الذي يُحدِّدْ و يُعرِّفُ فيه أبعاد الحياة المسيحية كشركة، عند مرحلة ما عن «المشاركة الجماعية في إصدار الحُكمْ على الأمور».[٤٢] ويتم تناول هذه النقطة وتطويرها أيضاً في كتابه الجديد (وجه في التاريخ): «إن الإيمان هو المعرفة الحقيقية والفعلية للمبدأ والجوهر الشامل للواقع، ألا وهو المسيح. ومن هذا المنظور، يجعل الإيمان ''المسيح مِلْكاً لنا''، ومشاركة أو تَملُّكْ [أي بهذا المعنى يتحدث عن ''امتلاك''] رؤية المسيح للواقع». لأننا نريد أن نرى ما يراه هو! إننا نريد أن نرى الواقع كما يراه هو! ويواصل الأب جوسَّاني: «لكن كيف يمتلك الإيمان هذه الرؤية؟ وكيف يشارك في الرؤية التي لدى المسيح للواقع؟». في داخل الكنيسة. ففي الواقع، يتابع الأب جوسَّاني، «إن الكنيسة هي مكان أولئك الذين يشاركون بالإيمان في حكم المسيح، وبالتالي يسعون، عبر الزمن، إلى التعبير عن هذا الحكم».[٤٣] فليس هناك أي إدعاء: إنه سعي (''يسعون'')، بمرور الزمن، إلى التعبير عن هذا الحكم وجعله ملموساً في الأمور الحياتية الواقعية.

فالإيمان هو أفق عالمي للمعرفة، وهذا يُرسي بديلاً يُلخِّصه الأب جوسَّاني كالآتي: «إما أن نحكم من داخل الإيمان أو من خارج الايمان؛ إذ ليس هناك مجالات محايدة للمعرفة»؛ وهذا يعني: «إما أن تحكم من داخل الكنيسة أو من خارجها: فأنت لست موجوداً حتى الآن مع الكنيسة وخارجها بمعزلٍ عنها. لأن الإنسان واحد – واحد! – لا يمكن تقسيمه».[٤٤]

و «الحكم الجماعي» الذي يتحدث عنه الأب جوسَّاني هو الحكم الجديد النابع من الإيمان، والذي يستمد أصله، وبالتالي فئاته، من الشركة المُعاشة. لذلك، إذا انفصلتَ عن حياة الشركة واعتقدتَ أنك تستطيع الحكم بالإيمان، «مستلهماً» الكاريزما، من خارج جوهر الرفقة والصحبة التي تعيش فيها الكاريزما، فأنت تكذب على نفسك، لأنك حتى دون قصد، لا تزال تعتمد على شيء آخر؛ وتتأثر بالعقلية السائدة.

وفي لقاءٍ عُقِد في ثمانينيات القرن الماضي (ثم تم نشره في مجلة «آثار» [Traces]) مع رهبان دير كاشيناتسا [Cascinazza] بالقرب من ميلانو حول هذا الموضوع، وصرَّح الأب جوسَّاني قائلاً: «ينبع الحكم من الوعي بالانتماء؛ فهو مشروط بالوعي بالانتماء. لمن أنتمي؟ لمن ننتمي؟ ينبع الحكم دائماً من كيفية استجابتنا وعيشنا للإجابة على هذا السؤال».[٤٥] لذا، فإن الحكم إما أن يكون تعبيراً عن الانتماء إلى واقع الكنيسة الحي، وإلى الرفقة والصحبة التي وضعك فيها المسيح لتعميق علاقتك به، أو أنه يعبر أكثر عما يؤثر فيك من عقلية البيئة التي تعيش فيها. وقد استخدم الأب جوسَّاني هذه الكلمة («البيئة التي نعيش فيها») للإشارة بدقة إلى ما يُحدد عقليتنا.[٤٦]

لذا، فإن الإصرار على «الحكم الجماعي» ليس دعوةً إلى النظام، بل لمرافقتنا في مسيرتنا الايمانية الشخصية. فالأمر لا يتعلق بانضباط، بل بحب لحياتنا؛ ففي الواقع، كل هذا له هدف واحد هو السماح للذات الجديدة بالازدهار في داخلنا، كما

---

[٤٢] الأب لويجي جوسَّاني، «ثورة الذات. الحياة كشركة (١٩٦٨ – ١٩٧٠)»، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦.

[٤٣] الأب لويجي جوسَّاني، «وجه في التاريخ. واجب الكنيسة في العالم (١٩٦٩ – ١٩٧٠)»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ١١٤، ١١٦ – ١١٧.

[٤٤] نفس المرجع المذكور عاليه، ص ١١٧.

[٤٥] الأب لويجي جوسَّاني، «حول الحكم الجماعي»، مجلة ''آثار'' عدد ٦/ ٢٠٠١، ص ١٠٢.

[٤٦] الأب لويجي جوسَّاني، «الطريق إلى الحقيقة هو خبرة»، بور، ميلانو ٢٠٠٨، الصفحات ٣٣ – ٣٤.

أجاب يسوع نيقوديموس العجوز الذي سأله: «كيفَ يولَدُ الإنسانُ وهوَ كبيرٌ في السِّنِّ؟».[٤٧]

الآن، لا يشير «الحكم الجماعي» فقط، وليس دائماً، إلى النتيجة النهائية – فهذا يعتمد بالطبع على الظروف وطبيعة الموضوع المثيرة للجدل – بل يشير أيضاً، وقبل كل شيء، إلى نشأة الحكم ومسار الوصول إليه، كتعبير عن البحث عن حكم الإيمان. إنها مسيرة نقوم بها معاً، في صحبة رشيدة، تتضمن الإصغاء والنقاش والسعي إلى الوحدة. وينطبق هذا – في بعض الحالات، على الموضوعات الهامة – للبحث عن حكم مشترك نعلنه (بنشرة إعلانية، أو بيان صحفي، أو مقال، أو معرض، كما يشهد بذلك العمل الذي قامت به شبيبة الطلبة حول السلام في اللقاء الدولي بريميني)،[٤٨] وعلى الحكم الذي تتخذه شخصياً على الوضع الذي تعيش فيه، في مواجهة متطلبات البيئة، وتعليم أطفالك، والقرارات المتعلقة بمستقبلك، ومسيرتك المهنية.

فبالنسبة لأولئك الذين يعيشون الانتماء إلى الجماعة المسيحية، لا يكون الحكم أبداً فعلاً فردياً، بل جماعياً: له جذوره في الشركة، أي في الحياة المشتركة مع الآخرين، ويتطور في تواصل دائم من النقاش المتبادل.

وحتى الحكم المشترك والعلني، بهذا المعنى، هو تعبير عن الانتماء وعن الحوار وعن النقاش وعن رغبة في اكتشاف حكم الإيمان معاً، وليس تأكيداً لهذا الرأي أو ذاك، حتى لو كان رأي من يقود الجماعة. إذ يعني هذا أن في كلٍّ منا رغبة حقيقية في هذا الاكتشاف، واستعداداً للتماثل والتماهي مع الأسباب الكامنة وراء حكم معين، إذا ما تولّت الحركة مسؤولية طرحه على الجميع، نظراً لأهمية الموضوع والإلحاح التاريخي للموقف الناجم عنه.

وأثناء محاولة التماثل والتماهي، قد تشعر بصعوبة، أو بشيءٍ غير منطقي، فتُحوِّل هذا الانزعاج إلى حوارٍ صريحٍ ومفتوحٍ مع السلطة: «لماذا قيل ذلك بهذه الطريقة؟ كنت سأقول شيئاً آخر». ومن جانبه، يجب على المسئول أن يُفكّر بجديةٍ في سؤالٍ صادق، وأن يُحافظ على إلهامه الحقيقي، وأن يُصحّح نفسه عند الضرورة. وقد تحتوي ملاحظتك على عنصرٍ جديدٍ وأكثر تركيزاً، مما يُمكن أن يُساعد المجموعة بأكملها على اتخاذ خطوةٍ إلى الأمام. وهذا ما نُسمّيه السعيَ إلى الوحدة، ولا يعني هذا أن نكون جميعاً "مُصطفّين". هكذا نسير سوياً.

إنها مسيرة تُلزم الجميع بالتوبة، لا سيما وأنّ الحكم الجماعي ليس تجريدياً أبداً – أي أنه لا يتوقف عند صياغة معايير نظرية، بل يتعمق في الجوهر، سواءً عند اتخاذ موقفٍ من ظروف وتحديات حياتك الشخصية والاجتماعية، أو عندما يتعلق الأمر بأمورٍ تَهُمَّ الجميع، وبنية المجتمع ككل، مثل رعاية الحياة والأسرة والسلام والتعليم. فهذه كلها قضايا يُمكن أن نختلف في مواقفنا بشأنها – إلى حدٍّ ما، كما أتمنى – لكن السؤال الأساسي هو: هل تسود رغبة في الحوار والتوصل إلى موقف مشترك يمكن أن يُقدَّم للجميع؟ أم أن ما يغلب هو الرأي الشخصي أو الاعتراض؟ فالمقصود هو أن تكون الرغبة في الوحدة هي الغالبة. وهي رغبة تتسم بالتوتر بطبيعتها، ولذلك فهي تحترم حرية كل شخص وايقاعه الزمني.

---

[٤٧] يو ٣: ٤.

[٤٨] راجع «نبؤات للسلام»، من إعداد ب. تشيدوني و ت. سبيروتو، إيتاكا، كاستيل بولونييزي (رافينا) ٢٠٢٥.

لقد كان الأب جوسَّاني يؤكد دائماً على أهمية أن يتعلّم الإنسان التفكير النقدي، وأن يفهم أسباب الأشياء، وأن يتحمّل مسؤولية آرائه وأحكامه.[٤٩] فالحركة تريد أن تكون مكاناً يساعدنا على تنمية وعينا وفهمنا لكل اقتراح، بدءًا من الإيمان المسيحي، حتى نصبح أشخاصاً أحراراً ونقديين ونساهم في صنع التاريخ. ولهذا، لا يوجد تعارض بين تنمية الوعي النقدي للواقع وبين التمسك بالجماعة؛ فجماعتنا هي المكان الذي نتعلم فيه كيف نحكم على الأمور بطريقة نقدية، والانتماء إليها يساعد شخصياتنا على النضوج. فلا أحد يستطيع أن يربّي نفسه بمفرده، فنحن جميعاً بحاجة إلى بيئة تساعدنا على تنمية العقل «امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ».[٥٠] ويحدث هذا غالباً من خلال عرض أمثلة عملية لكيفية إصدار الأحكام، وهذه الأمثلة لها قيمة تربوية وثقافية معاً.

وكل حكم يصدر في ظرف معين، سواء منك أو من الجماعة، يمكن تحسينه دائماً، لأنه ليس كاملاً. لذلك، فالمشكلة ليست في ارتكاب الخطأ، ولا يجب أن يمنعنا الخوف من الخطأ من الكلام؛ المهم هو ألا نترك الطريق التي نسير فيها، وألا نرفض الانتماء إلى الجماعة.

دعونا نتأمل في حفل الكمان والأوركسترا الذي سمعناه عند الدخول: إذ يصبح الكمان محور العرض الحقيقي عندما يتبنى لحن الأوركسترا، وكأنه يولد من جديد بحيويته، من خلال انتمائه للأوركسترا. أمّا هزيمتنا فتكمن في أن نعتبر الحرية مجرد استقلال ذاتي. وفي النهاية، هذا يفصلنا عن الأصل، ويجعلنا نفكر مثل الجميع، ويُضعِف قدرتنا على النقد، ويدفعنا للخضوع لما سماه الأب جوسَّاني «السلطة».

إن الانتماء إلى الجماعة التي التقى بنا فيها المسيح، الذي يمنحنا القدرة ليس على إصدار أحكام جديدة فقط، بل القدرة أيضاً على العمل بطريقة مختلفة، وعلى مواجهة المواقف والتجارب، وأي صحراء أو أي ظرف، ومواجهة الألم والمعاناة، بل وحتى مواجهة الشر، بروح جديدة.

وقد رأينا ذلك في اللقاء الدولي بريميني [Meeting] ، مثلاً في المعرض عن إرمَانو المُقعَد، أو في المعرض عن شهداء الجزائر الذي أشار إليه البابا لاون الرابع عشر في رسالته.[٥١] وسمعناه خلال الاجتماع الدولي للمسؤولين، ومن خلال شهادات من مختلف أنحاء العالم. ونراه يتجلى اليوم في شهادة الكاردينال بيتسابالاَّ والرهبان الذين بقوا في غزة والأرض المقدسة، رغم خطورة الوضع وإدراكهم التام للمخاطر.

«المسيح، الأساس الجديد للمعرفة والعمل» — هذه هي الفكرة التي قلناها، والشهادة الحياتية التي سنستمع إليها الآن ستوضح لنا، من خلال حياة شخص عادي مثلنا، كيف أحدث المسيح هذا التغيير الحقيقي.

إقرأ هنا نص الشهادة

---

[٤٩] الأب لويجي جوسَّاني، «المخاطرة التربوية»، بور، ميلانو ٢٠٢٤، الصفحات ١٧ – ١٩.

[٥٠] ١ تس ٥: ٢١.

[٥١] البابا لاون الرابع عشر، «رسالة بتوقيع الكاردينال بييترو بارولين، سكرتير دولة الڤاتيكان، بمناسبة اللقاء الدولي السادس والأربعين للصداقة بين الشعوب»، ٢١ أغسطس ٢٠٢٥.

٣) ننشر في العالم الحب الذي لامسنا

كاسيزي

قبل أن أطرح سؤالاً أخيراً، أودّ أن أستعيد بعض الأحداث التي أذهلتنا بشدة على مدار هذا العام، أحداثاً جرت بيننا، داخل جماعاتنا. أفكّر أولاً في مبادرة (منطقة جامعة ميلانو)، التي نظّمها طلاب جامعتنا كمبادرة للحضور العلني بساحة ليوناردو للعام الثاني على التوالي، ثمّ أيضاً في انطلاق مهرجان (إلتقي بميلانو)، الذي جمع مشاريع مختلفة في المدينة؛ والذي أُقيم في نهاية شهر مايو في أعمدة سان لورينزو [Colonne di San Lorenzo]. انبثقت هذه المبادرة من رغبة عدد من الشباب في مشاركة المدينة ما صادفوه في حياتهم. بادرة بسيطة، لكنها غنية بالمعاني.

أفكّر أيضاً في مشاركة عدد من الشباب في المشاريع التي وُلدت من خبرة الحركة: أشخاص تبرعوا بسخاء، وتحمّلوا أيضاً مسؤوليات، على سبيل المثال، في مجالس إدارة العديد من المدارس الخاصة. لقد شهدنا ولادة مراكز ثقافية، رعاها أصدقاء مدفوعون برغبة في استكشاف قضايا مُلحة وراهنة، كتلك المتعلقة بالذكاء الاصطناعي وتحديات عصرنا الأخرى. وأودّ أيضاً أن أشير إلى العمل المشترك لعدة مدارس أطلقت، في وقت سابق من هذا الأسبوع، معهد «كارلو أكوتيس» [Carlo Acutis] الفني الخاص.

كما لمستُ حيوية العديد من العائلات الشابة، التي تُبادر فيما بينها، وتُصبح علامات على حياة جديدة في السياقات التي تعيش فيها – أفكر، على سبيل المثال، في الرعيات. ليس لديّ وقت لسرد كل ما يحدث دولياً، لكنني أودّ على الأقل أن أذكر بعضاً منّا من إقليم لومبارديا الذين يعيشون الآن في شمال أوروبا أو الدول العربية، والذين يجتمعون لدعم بعضهم البعض في عملهم ودعواتهم، مُشركين أصدقاء جدد في هذه المسيرة. وما يلفت انتباهي أكثر هو أن هذه المبادرات ليست نتيجة لبيان برامجي، بل هي ازدهار يولد من الخبرة التي نعيشها: علامات، وتلميحات يدعونا الرب من خلالها إلى المسير وقيادة حياتنا، وتاريخ الحركة بأكملها، لاتخاذ خطوات جديدة نحو النضج.

رغم كل ما قيل، لا أرغب في التقليل من أهمية الطريق الذي ما زال أمامنا. ففي الحقيقة، عندما أُعيد إطلاق فكرة الرسالة في يوم البداية من العام الماضي، فُهمت أحياناً، خاصةً في البداية، بطريقة أخلاقية إلى حد ما، وكأنها مجرد شيء إضافي يجب فعله. وأنا أدرك أن خطر الوقوع في هذا النهج الأخلاقي يبقى حاضراً على الدوام. لذلك أسألك، بناءً على ما تحدثنا عنه: ما معنى أن نكون أشخاصاً منخرطين في الرسالة؟

بروسبيري

أولاً، يجب أن نتعلم من الأمثلة التي بيننا، وليس بيننا فقط، بل ونشير إليها. ومع ذلك، يبدو لي أن القضية الفاصلة هي: أن عيش حياة جديدة لا يتطلب مواصفات مسبقة من العبقرية أو القوة أو المزاج أو الجرأة الشخصية، بل يتطلب الحضور، مع انفتاح القلب التام، إلى المكان الذي يجذبنا إليه المسيح ويجعلنا نختبر فيه رحمته لنا.

ولاستكشاف إجابة سؤالك بشكل أعمق، أود استرجاع ثلاث صور. الصورة الأولى مستوحاة من أحد الكتب التي أوصت بها الحركة لهذا الصيف، «السلطة والمجد» للكاتب جراهام جرين. بطل الرواية كاهن هارب في المكسيك في ثلاثينيات القرن الماضي، خلال الاضطهاد الوحشي ضد الكاثوليك. وهذا الكاهن (الذي لم

يُكشف عن اسمه، بالمناسبة) هو آخر كاهن متبقٍ في تلك المنطقة. لكنه ليس "نموذجاً" مثالياً للفضيلة، أو البطل الكلاسيكي الذي يتحدى جميع الأعداء؛ بل هو مليء بالقيود: إنه مدمن كحول. أنجب ابنةً من علاقة عابرة؛ يرعبه الاضطهاد المستمر، لدرجة أنه يحاول الهرب باستمرار. ومع ذلك، فهو آخر كاهن متبقٍّ في بلدٍ أصبح فيه الاحتفال بالقداس جريمةً: لذا، فهو من اختاره الله لمواصلة خدمة النفوس.

هذا الكاهن، غير الجدير أخلاقياً، هو مع ذلك متسول، فقير الروح: عندما يكون، في لحظةٍ ما، على وشك الوصول إلى حدود الولايات المتحدة، وبالتالي "الخلاص"، يقرر العودة لسماع اعتراف رجلٍ يحتضر، قاتل، مع علمه أنه قد يكون فخاً. لكنه لا يفعل ذلك بدافع البطولة؛ بل يفعل ذلك بدافع الولاء لشيءٍ أعظم منه، ما يجذبه. إنها خبرة «قَدْ أَقْنَعْتَنِي يَا رَبُّ فَاقْتَنَعْتُ».[٥٢] لا يحتاج الله إلى "الأطهار" ليخلص؛ إنه يحتاج إلى من هم متاحون وجاهزون، حتى لو كانوا ضعفاء، حتى لو كانوا محدودي الإمكانيات. لذلك، ليس لدينا أي أعذار! ليس الأمر تبريراً للشر، بالطبع، بل إدراك واعتراف بأن هذا الشر يُهزم برحمة الله. وسيموت هذا الكاهن شهيداً، والمسيح، من خلال كنيسته، لن يتخلى عن الشعب المكسيكي.

لذا، فإن الرسالة التي دُعينا إليها لا تتمثل في أن نكون "على ما يرام"، بل في أن نكون متسولين ومحتاجين وشاكرين لمحبته ولعناقه، ولرفقته. وهذا ما يُولِّد الجديد في العمل. حتى في خِضَمْ هاوية الشر، كما يُشير الكاردينال بيتسابالا ويعطينا شهادته على ذلك، فالمنظور المسيحي مختلف: لأنه لا يسعى إلى اقتلاع الأعشاب الضارة، بل إلى ادراك القمح وجعله ينمو وسط هذا الخليط من الأعشاب.

إننا لسنا مدعوين إلى القضاء على المشاكل، بل إلى اختبارها بطريقة جديدة («المسيح، الأساس الجديد للمعرفة والعمل»)، مُشاركين درب المُتألمين والمحتاجين وشهوداً على المحبة التي قبلناها، مُساهمين بذلك في تغيير العالم. حتى أصعب التناقضات قبولاً ومعاناة الأبرياء (بل كل المعاناة في نهاية المطاف)، قد لا تكون بلا معنى.

دعونا نتأمل في قصة سمعان القيرواني:[٥٣] هذه هي الصورة الثانية التي أقترحها عليكم. تروي الأناجيل أن الجنود الذين رافقوا يسوع إلى الجلجثة أجبروا رجلاً من القيروان، يُدعى سمعان، على مساعدته. أطاع، ولا بد أن الأمر لم يكن سهلاً: فنحن نعلم كم كان حمل الصليب إهانةً وإهانةً لليهودي خاصةً. ومع ذلك، ساهمت مساعدته، دون أن يدرك، في تحقيق خطة الآب الخلاصية.

إنه رجلٌ عادي، وجد نفسه دون قصدٍ في تلك الظروف، وتم اشراكه فهي تحقيق رسالة يسوع. لكن هذا يُشير إلى أمرٍ بالغ الأهمية لنا: أن المسيح يدعونا بأسمائنا، نحن النقاط اللامتناهية الصغر في الكون، من خلال الظروف التي يمنحنا إياها لنختبرها، وهو يُشركنا في رسالته. وسيتذكر الكثيرون ما قاله الأب چوسَّاني: «إن الظروف التي يصل بها الله إلينا من خلالها هي عاملٌ أساسي وليس ثانوي، في دعوتنا وفي الرسالة التي يدعونا إلى القيام بها».[٥٤]

إذن بالنسبة لنا، يكمن الأمر، أولاً وقبل كل شيء، في جاهزيتنا واستعدادنا لقبول الدعوة. فالعلاقة مع الظروف وحتى الموجعة منها والعلاقة مع الألم تصبح تضحيةً مجانيةً من الذات

---

[٥٢] أر ٢٠: ٧.

[٥٣] مت ٢٧: ٣١ – ٣٤؛ لو ٢٣: ٢٦؛ مر ١٥: ٢٠ – ٢٢.

[٥٤] الأب لويجي چوسَّاني، «الانسان ومصيره. في مسيرة»، ماريتي ١٨٢٠، جنوا ١٩٩٩، ص ٦٣.

للمسيح، وليست مجرد خضوع وتحمل لتلك الآلام – فكّر في بعض الظروف التي لا مفرّ منها – عندما نُدرك، بفضل الإيمان، علاقتنا بحضور المسيح القائم من بين الأموات، وأن أفعالنا جزءٌ من خطةٍ لا نملكها، خطة الآب للخلاص، وأننا، بقبولنا ذلك الجزء من الطريق الذي طُلب منا أن نسلكه معه إلى الجلجثة، نُساهم في مجد قيامة المسيح.

والصورة الثالثة والأخيرة. في روما، خلال يوبيل الحركات، أتيحت لي الفرصة لمشاهدة لوحةٍ رامبرانت [Rembrandt] [٥٥] التي تُصوّر عشاءَ تلميذي عمواس مع يسوع بعد القيامة. والشخص الذي يظهر في المشهد الرئيسي هو يسوع، الذي يميل بفضولٍ إلى اليمين في حركة دينامية وهو على وشك الاختفاء عن أنظارهم.[٥٦] ويجلس على المائدة معه تلميذان. أحدهما مُضاءٌ مباشرةً بنورٍ مُنبعثٍ من وجه المسيح القائم: فيمتلئ دهشةً، إذ يُدرك استثنائيةَ من أمامه. والآخر يجلس القرفصاء عند قدميه.

رمبرانت، المسيح في عمواس (١٦٢٨)، متحف چاكمار-أندريه، باريس
٢٠٢٥ © مجموعة فن التصوير / ألَمي

وعلى اليسار، في الخلفية، نلمح امرأةً، ربما تُرتِّبُ الأواني أو تُحضِّر الطعام للمائدة. وهنا نرى تفصيلتان مثيراتان للاهتمام حقاً: الأولى هي أن ميل جذع المرأة مُطابقٌ لميل جسد يسوع، كما لو كان يُشير إلى تشابه مُعيّن معه، حتى وإن لم نُدرك عمقه (لأننا لا نعرف الشعور العميق الذي ينظر به المسيح إلينا وإلى كل شيء)؛ والثاني هو أن المرأة أيضاً يُشِعُّ منها نورٌ، أضعف بكثير من النور المُنبعث من صورة يسوع، ولكن بنفس الدرجة، لأنها تعكس النور المُنبعث من المسيح، وهي تقوم بما قام به المسيح: الخدمة.

فمسؤوليتنا في العالم هي أن نكون انعكاساً لنور المسيح في المحبة والخدمة له (يقول المزمور الرابع: « أَشْرِقْ عَلَيْنَا أَيُّهَا الرَّبُّ بِنُورِ وَجْهِكَ ») من خلال المحبة والخدمة للآخرين (كما قالت الأم تريزا)، لأولئك الذين نلتقي بهم في مسيرتنا اليومية، في الأماكن التي نعيش فيها، حتى يعرفوا ذلك النور الذي ملأ حياتنا، حتى « يَعرِفوكَ أنتَ الإلهَ الحَقَّ وحدَكَ ويَعرِفوا يَسوعَ المَسيحَ الّذي أرْسَلْتَهُ ».[٥٧]

هذه هي الرسالة التي دُعينا إليها: أن نقدم إلى العالم الحب الذي جاءنا، «الحب الذي يُحرك الشمس وسائر النجوم».[٥٨] الحياة دعوة. وكما قلنا في يوم بداية العام الماضي، نحن مُختارون، مدعوون إلى علاقة مع المسيح، مدعوون إلى الاستجابة لرسالة: أن نُعرِّف العالم بحقيقته ومحبته، أينما كنا – في الحي وفي المدرسة وفي الجامعة وفي المدينة وفي الوطن وفي العالم. لأن العالم أجمع ينتظر هذا، ويكمن معنى حياتنا

---

[٥٥] «مسيرة الرجاء. رمبرانت وبرنان في روما»، إعداد الأب أليسيو چيريتيّ، اللوحات المعروضة: برنان (١٨٥٠ – ١٩٢١) «يهرع التلميذين بطرس ويوحنا إلى القبر المسيح صباح القيامة (١٨٩٨) »، متحف أورساي، باريس؛ رمبرانت (١٦٠٦ – ١٦٦٩)، «العشاء في عمواس (١٦٢٩)»، متحف چاكمار-أندريه، باريس. تم عرض اللوحات (٩ إبريل – ٨ يونيو ٢٠٢٥) في كنيسة سان مارتشيللو ألكورسو، روما.

[٥٦] لو ٢٤: ١٣ – ٣٥.

[٥٧] يو ١٧: ٣.

[٥٨] دانتي أليجييري، «الكوميديا الإلهية. مجلد الفردوس النشيد الثالث والثلاثين، البيت رقم ١٤٥، بور، ميلانو ٢٠٠٦، ص ٣٩٥.

تحديداً في دعوتنا للقيام بهذه الرسالة. فليس هناك فقر أعظم، كما يُشير بطل رواية «السلطة والمجد»، وليس هناك حماس أعظم من هذا.

إذن من هو البطل الحقيقي لهذه الرسالة؟ يقول الأب چوسَّاني: «إن البطل المسيحي الحقيقي هو الإنسان الذي يعيش ويحمل معه، ويخلق، ويبني، الكنيسة أينما كانت؛ إنها الشركة المسيحية».[٥٩] لهذا السبب، كما قلنا العام الماضي، لا يمكن أن توجد الرسالة دون الانتماء إلى الشركة المسيحية.

لنتذكر كلمات البابا لاون الرابع عشر في لقائه مع منسقي الحركات الكنسية: «ليس هناك مسيحي بمفرده! فنحن جزء من شعب، من جسد شَكَّلهُ الرب. [...]. لأننا لا نعيش الحياة المسيحية في عزلة، كما لو كانت مغامرة فكرية أو عاطفية، محصورة في عقولنا وقلوبنا. بل نعيشها مع الآخرين، في مجموعة وفي جماعة، لأن المسيح القائم من بين الأموات يحضر بنفسه وسط التلاميذ المجتمعين باسمه».[٦٠]

فلتحمل هذه الشركة معك حتى في عزلتك الجسدية، كما يحدث للكثيرين منا في أماكن عملهم أو في البلدان التي نعيش فيها؛ فكل حكم منك وكل فعل من أفعالك هو تعبير عن هذه الشركة. إذن، تتمثل الرسالة في أن نحمل معنا ونعطي شهادة بحياتنا، أينما كنا وبمن نحن وبذلك الواقع الجديد الذي هو المسيح، الذي هو الشركة المسيحية. وكما يقول الأب چوسَّاني: «إذن، أنت لست في الحي الذي تعيش فيه [أي في كل ظرف يومي] إلا من خلال هذا الإيمان وبهذا الإيمان، وإلا من خلال حمل بنية جديدة في داخلكم والتعبير عنها، وهي بنية الشركة المسيحية: الشراكة والتحرر». ويعلن بعد ذلك مباشرة، بكلمات لا يمكن إساءة فهمها: «هذه مهمتنا؛ وأي منطلق آخر غير ذلك فهو ليس منطلقنا».[٦١]

---

[٥٩] الأب لويجي چوسَّاني، «وجه في التاريخ. واجب الكنيسة في العالم (١٩٦٩ – ١٩٧٠)»، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٢.

[٦٠] البابا لاون الرابع عشر، «خطاب إلى منسقي الحركات الكنسية ....»، مرجع سبق ذكره.

[٦١] الأب لويجي چوسَّاني، «وجه في التاريخ. واجب الكنيسة في العالم (١٩٦٩ – ١٩٧٠)»، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٢.

ماتيس، «درب الصليب (١٩٤٩ – ١٩٥١)»، كنيسة السيدة العذراء مريم للمسبحة الوردية

٢٠٢٥ © فوتو سكالا، فلورنسا

رمبرانت، «المسيح في عمواس (١٦٢٨)»، متحف چاكمار-أندريه، باريس

٢٠٢٥ © مجموعة فن التصوير / أَلَمي

قام بالترجمة عن الإيطالية: لوقا أسعد ناروز

© ٢٠٢٥ أخوية الشراكة والتحرر

صورة الغلاف: ڤينسينت ڤان جوخ، «الزارع يرمي البذور عند غروب الشمس»، ١٨٨٨، متحف كرولر-مولر، أوترلو، هولندا